

الشيخ مبارك الميلي
ومنهجه في إصلاح العـقيـدة

د.مرزوق العمري[1]

مقدمة

توزعت الكتابة في علم العقيدة عند علماء الإسلام على عدة أنماط؛ فمن تقرير مسائل العقيدة وعرضها كما جاءت به نصوص الوحي والدعوة إلى الأخذ بها كما هي كذلك، إلى الوقوف عند الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام والرد عليها، إلى متابعة مكامن الخطأ ومواطن الفساد التي تشوب عقيدة الإسلام وما وقع فيه المسلمون من انحرافات عقدية والعمل على تصحيحها.

وإذا ذكر هذا النمط الثالث من أنماط الكتابة فإنه تذكر تلك الكتابات التي جاءت في باب العقيدة في الإطار العام للحركات الإصلاحية في التاريخ الإسلامي الحديث؛ ككتابات الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الحجاز، ومثل كتابات بعض رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الجزائر.

واهتمام العلماء بهذا النمط من الكتابة في باب العقيدة يعود إلى وعيهم بالخطر الذي طال المسلمين في عقيدتهم بفعل الأمية الدينية التي عمد الاستعمار إلى نشرها في المسلمين للحيلولة بينهم وبين دينهم، فيصبح القيام بالإصلاح من الواجبات في حق العلماء. في هذا

1- أستاذ العقيدة والفلسفة الإسلامية –كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية جامعـــة باتنـــة – الجزائر.

الإطار جاءت كتابات الشيخ مبارك الميلي (1896م-1945م) وهو أحد رجالات الإصلاح في الجزائر وأحد أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي أسسها الشيخ عبد الحميد بن باديس، وقد أثمر جهده في هذا المجال كتابا شهيرا بعنوان: "**رسالة الشرك ومظاهره**" الذي كان له صداه المعرفي والإصلاحي داخل الجزائر وخارجها، حيث اتخذ كمرجع ينصح بالعودة إليه في العقيدة في عدة أقطار إسلامية.

بناء على هذا تشكل الباعث على البحث في هذا الموضوع وإنجاز هذه الدراسة والذي يتمثل فيما يلي:

1- التعرف على هذا النمط من الكتابة في باب العقيدة والذي يمكن اعتباره نمطا جديدا؛ فهو مخاطبة للمسلم الذي انحرف في عقيدته وكثيرا ما يكون ذلك بلا علم، فلم يعد يدري ما هو من عقيدته وما هو مخالف لها، وهذا كما سبق القول بفعل الأمية الدينية التي تفشت في المجتمع المسلم في تلك الفترة.

2- الكشف عن المرجعية الحقيقية للعمل الإصلاحي الذي عرفه المجتمع الإسلامي الحديث والذي مثلته جهود علماء كثيرين كان منهم الشيخ مبارك الميلي في الجزائر، والذي تؤكد لنا كتاباته أن مرجعية عمله كانت العقيدة الإسلامية في صورتها النقية التي جاء بها الوحي.

3- الوقوف على طبيعة الأخطاء التي كانت سائدة في العقيدة والتي أشار إليها الشيخ مبارك الميلي وهل تم تداركها أم لا؟ وهذا لمعرفة طبيعة التحولات ومدى بلوغ الخطاب الإصلاحي أهدافه التي ارتسمها.

بناء على هذه المعطيات يمكن تصور الإشكالية التي تتمحور حولها هذه الدراسة، والتي تفرعت إلى التساؤلات التالية: ما هو موقع القضايا العقدية من الخطاب الإصلاحي عند الشيخ مبارك الميلي؟ وما هي معالم منهجه الذي وظفه في معالجة الانحرافات العقدية؟ وما هو الأثر الذي أحدثه جهده في هذا المجال؟

إن التعاطي مع هذه الإشكالية اقتضى الاعتماد على منهج ذي أبعاد متعددة: فيه البعد التاريخي، وفيه البعد الوصفي، وفيه أيضا البعد التحليلي. وهذا ما جعلني أستمد مادة هذه الدراسة مما كتبه الشيخ مبارك الميلي بالدرجة الأولى، بالإضافة إلى بعض كتابات رجال جمعية العلماء المسلمين مثل: كتابات الشيخ عبد الحميد بن باديس، وكتابات الشيخ أحمد حماني، والشيخ محمد خير الدين...وغيرهم، وذلك لإبراز المنهج الذي اعتمده الشيخ مبارك الميلي في إصلاح العقيدة والذي يمكن الوقوف عنده من خلال ما يلي:

أولا: مركزية قضايا العقيدة في الخطاب الإصلاحي عند الشيخ مبارك الميلي

العمل الإصلاحي هو جهد يتتبع فيه المصلحون مواطن الفساد للعمل على إصلاحها، فمادام قد طرح موضوع الإصلاح فهذا دليل على أن هناك فسادا قد استشرى ووجبت مقاومته، وإعادة الأمور التي طالها الفساد إلى طبيعتها، وهذه المهمة من منظور إسلامي مهمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقد جاء في القرآن الكريم على لسان شعيب عليه السلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[1]، كما جاء في السنة النبوية ما يبين أن الإصلاح مهمّة العلماء بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وإذا ذكر العمل الإصلاحي في الجزائر تذكر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين باعتبارها رائدة هذا العمل في هذا القطر الإسلامي، والتي مثلت الثورة على الاستعمار وعلى الانحرافات الدينية خاصة في مجال العقيدة والتي كانت بفعل بعض الممارسات، وقد صوّر أحد رجال جمعية العلماء هذا الوضع بقوله: «مرت على الشعب الجزائري أحقاب متطاولة ساد فيها الجهل والخرافات، واستغلهما الفريقان الأمراء والرؤساء الروحيون،

1- هود/88.

فعاشت الأمة الجزائرية طيلة هذه الأحقاب بين فكي الجهالة والفوضى الدينية تتقاذفها أمواج من الفتن و تتدافعها أعاصير من الشرود»[1].

ولهذا الغرض -الإصلاح- تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فهي جمعية إصلاحية، قال عنها الشيخ عبد الحميد بن باديس: «إن هذه الجمعية يجب أن لا تكون إلا جمعية هداية وإرشاد؛ لترقية الشعب من وهدة الجهل والسقوط الأخلاقي إلى أوج العلم ومكارم الأخلاق، في نطاق دينها الذهبي وبهداية نبيها الأمين الذي بعث ليتمم مكارم الأخلاق عليه وآله الصلاة والسلام»[2].

وبما أن هذه هي فكرة الإصلاح وبما أن هذا هو مجال تحرك جمعية العلماء المسلمين التي كان الشيخ مبارك الميلي أحد أقطابها وأحد رجالات الإصلاح في الجزائر، وقد تميز الشيخ الميلي بقريحة علمية واندفاع قوي إلى العمل الإصلاحي حتى صنّف بأنه: «من تلك الفئة التي تعتقد أنها مسؤولة أمام الله عن الفساد في الأرض، ومعنى هذا أن له ضميرا دينيا شديد الإحساس يهتز لرؤية أدنى فساد ويغتم لأدنى تقصير في تغييره»[3]. هذه الروح التي يتوفر عليها الشيخ مبارك الميلي جعلته يكرس وقته للعمل العلمي في التعليم والكتابة والتدريس، ولذلك كان طاقة إصلاحية متميزة حتى وصف بأنه فيلسوف الحركة الإصلاحية[4].

وبما أن الإصلاح المتحدث عنه في إطار المرجعية الإسلاميــــة كان أساســـه العقيدة بطبيعة الحال، وهذا الأمر كان في أولويات جمعية العلماء؛ لأن الإصلاح عمل ديني وعلمي، والعلم: «كالعسل لا يوضع إلا في وعاء نظيف، وإلا سرى الوسخ إلى العسل فأفسده، وقد راعى أولئك الحكماء وجوب البداية بتطهير النفوس من تلك الخرافات

1- إبراهيم أبو اليقظان: مقال بجريدة البصائر، العدد الأول، الصادر في27 /1935/12، ص:5.

2- آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، دار البعث قسنطينة، الجزائر ط:1 (1985)، ج:4، ص:48.

3- محمد الميلي: الشيخ مبارك الميلي حياته العلمية ونضاله الوطني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:1(2001)، ص: 360.

4- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، ط: 2(1400هـ 1980م)، ص:325.

والأوهام، وتنقيتها من الزيغ والضلال والعقائد الفاسدة، وإعدادها لتلقي العلوم الصحيحة»[1]، ولهذا كانت بدايات العمل الإصلاحي تهدف إلى القيام بواجب إصلاح العقيدة[2].

وقد تحول الأمر فيما بعد إلى منطلق متين وأساس شيّد عليه الخطاب الإصلاحي عند جمعية العلماء، فقد جاء في دعــوة جمعية العلماء وأصولها: «التوحيد أساس الدين، فكل شرك في الاعتقاد أو في القول، أو في العمل فهو باطل مردود على صاحبه»[3]، وتجسدت هذه الدعوة ميدانيا في الدروس المسجدية التي كانت تقيمها الجمعية في المساجد كما فعل الشيخ عبد الحميد بن باديس.

ولكن الكتابة في هذا المجال بشكل متميز كانت للشيخ مبارك الميلي والتي تمثلت في كتابه "رسالة الشرك ومظاهره"، وهذا لأهمية صلاح العقيدة في العمل الإصلاحي، لذلك كانت الجمعية ترى أن: «أهم ناحية من هذه الخدمة الجليلة تطهير المعتقد مما لصق به من الضلالات، وتجلية عقيدة التوحيد وإرجاع قوة الإسلام بنفي العقائد التي هي أجنبية عنه، والتي أدخلت الضعف في نفوس أهله حتى أصبحوا بسببها في أسوأ حال من حيث أوضاعهم الاجتماعية، وحياتهم السياسية والاقتصادية»[4].

من هنا ندرك مركزية قضايا العقيدة عند جمعية العلماء، وعند الشيخ مبارك الميلي باعتباره أحد رجال هذه الجمعية الذين التزموا بخطها الإصلاحي، وهو الذي كان ينظر إلى التجديد والإصلاح على أنه ضرورة واقعية وكان يملك تصورا متكاملا له. فلم: «يكن

1- إبراهيم أبو اليقظان: مقال بجريدة البصائر، العدد السابق، نفس الصفحة.

2- انظر التصدير الذي وضعه الشيخ محمد خير الدين للبصائر، مجموعة جريدة البصائر، ط:1 (1404هـ/1984م)، دار البعث قسنطية، الجزائر.

3- عبد الحميد بن باديس: العقائد الإسلامية، تعليق وتحقيق محمد الحسن فضلاء، دار البعث، قسنطينة، الجزائر ط:1 (1985)، ص:18.

4- محمد الميلي: الشيخ مبارك الميلي حياته العلمية ونضاله الوطني، ص:354.

التجديد في مجال العقيدة فكرة عرضية ولا عفوية عند الشيخ مبارك الميلي، وإنما كان مقصودا بوعي ومبررا بواقع ومؤصلا في السنة»[1].

ثانيا: التركيز على ظاهرة الشرك

ما يعرف عن الشيخ مبارك الميلي أنه ليس باحثا متخصصا في العقيدة، وإنما هو كاتب مصلح جاءت كتاباته بشكل عام في قالب إصلاحي عدا كتابه "تاريخ الجزائر في القديم والحديث"، أما عن كتابه "رسالة الشرك ومظاهره"، فهو في أصله سلسلة مقالات نشرت في جريدة "البصائر" التي كانت تصدرها جمعية العلماء المسلمين قبل أن يكون كتابا، ولأهمية تلك المقالات وقيمتها العلمية اقتُرح عليه أن يجمعها في كتاب فكان ذلك.

يقول الشيخ مبارك الميلي: «نشرنا سلسلة مقالات في موضوع الشرك ومظاهره، وما برزت من تلك السلسلة حلقات حتى أخذت الرغبـــات من مختلف الطبقات في عدة جهات تتوارد على تجريد تلك المقالات وجمعها في رسالة خاصة، فاستصوبنا اقتراح الراغبين، وأمسكنا عن قرّاء البصائر ما بقي من حلقات السلسلة، وأعلنا بها استعدادنا لتنفيذ مقترحهم، ثم رجعنا إلى ما كتب بالتهذيب والتبويب وتنقيح عبارات للتقريب وتغيير في الترتيب، وأضفنـــا إليه بعض الفصول فجاءت في شكل غير الذي ظهرت به من قبل»[2].

لقد جاءت رسالته جامعة لموضوع الشرك من حيث بيان معناه، ومظاهره، وحماته، وذكر مخاطره وكيفية معالجته وما إلى ذلك، وقد كان التركيز على هذه الظاهرة عند الشيخ مبارك الميلي لعدة مبررات منها:

1- الدكتور مولود سعادة: مقال بمجلة معهد أصول الدين، مجلة تصدر عن معهد الدعوة وأصول الدين بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة - الجزائر، العدد: الأول(1998)، ص:133.

2- مبارك الميلي: رسالة الشرك ومظاهره، شركة الشهاب، الجزائر، بلا تاريخ، ص:14.

1- خطورة الشرك: هذه الخطورة التي قال عنها الشيخ مبارك الميلي بشكل عام: «إن حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وإن نسبة الشرك من التوحيد نسبة الليل من النهار، والعمى من الإبصار، يعرض للأمم الموحّدة كما يعرض الظلام للضياء، ويطرأ عليها كما تطرأ الأسقام على الأجسام، غير أن الظلام باعث لنوم الأبصار لإفادة الراحة للأشباح، أما الشرك فعلة لنوم البصائر الموجب لشقاء الأرواح، وإذا كان حفظ الصحة بالغذاء والدواء فإن حفظ التوحيد بالعلم والدعوة، ولا يحفظ التوحيد علم كعلم الكتاب والسنة، ولا تجلي الشرك دعوة كالدعوة بأسلوبهما»[1].

من خلال هذا التمثيل لحال الشرك يمكن الإشارة إلى خطورته على ما يلي:

أ- على العقيدة: فالشرك خطر يتهدد التوحيد الذي هو روح العقيدة الإسلامية؛ إذ إنه يؤدي إلى عبادة غير الله سبحانه وتعالى، ولذلك كان من أكبر الكبائر التي لن يغفرها الله عز وجل، كما أنه سبب إحباط الأعمال، وقد نطقت بهذا نصوص كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَآءُ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[3]. فالشرك بما أنه محبط للأعمال، مخلّد في النار يحرم صاحبه من مغفرة الله عز وجل. كان هذا من أهم جوانب خطورة الشرك على المسلم فهو لم يقتصر في أثره السلبي على دنيا المسلم فقط بل على آخرته أيضا.

ولخطورة الشرك ركزت رسالات الأنبياء عليهم السلام على الدعوة إلى التوحيد وترك الشرك، وما دام العلماء على أثر الأنبياء، كان الشيخ مبارك الميلي على هذا النهج، فكان يقول:

1- المرجع نفسه، ص:11.

2- النساء/115.

3- الزمر/62-63.

«إذا كان الاحتياج إلى معرفة الشرك شديدا كان تعريف الناس به أمرا لازما أكيدا، وإذا كان الباعث على هذا التعريف إقامة العقيدة فهو من النصيحة المفيدة الحميدة، وليس الإرشاد إلى الخير النافع بأولى من التنبيه على الباطل الضار، بل كلاهما غرض حسن، وسنن لا يعدل عنها الساعون في خير سنن، وهذا ما حمل المصلحين المجددين على الاهتمام بدعوة المسلمين إلى إقامة التوحيد وتخليصه من خيالات المشركين»[1].

إن ما يوصف به منهج الشيخ مبارك الميلي في هذه المسألة أنه انطلق من السالب، فعوض الانطلاق من التوحيد وبيان محاسنه، نجده يبدأ من الشرك وبيان مضارّه مستندا في ذلك إلى الأثر الذي أثر عن حذيفة بن اليمان ﵁ الذي قال فيه: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن. قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر. قلت: فهل بعد ذلك الخيرِ من شر؟ قال: نعم، دعاة إِلى أبوابِ جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت: يا رسول الله صفهم لنا. قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا. قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»[2]. وفي هذا بيان لخطورة الشرك ومنافاته للعقيدة.

ب- على النفس: وفي بيان خطورة الشرك على الناحية النفسية للمسلم يبدأ الشيخ مبارك الميلي من تقرير الطبيعة الإنسانية التي تمثلت في ثنائية الروح والمادة، أو الروح والجسد؛ وبما أن الإنسان ميال بطبعه إلى المادة، فهذا مما يؤدي إلى اختلال التوازن في

1- مبارك الميلي: رسالة الشرك ومظاهره، ص:11.

2- رواه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام.

كيانه بوقوعه في الشرك الذي هو أكبر النقائص التي تعتري النفس الإنسانية. يقول الشيخ مبارك الميلي: «لا تجد في عيوب النفس ونقائص الإنسان ما يضاهي الشرك في اقتضاء طبع المتدين له وخفاء مساربه إلى نفسه ودفاع المتأوّلين. فكان لزاما على من يهتم لسعادته في الدار الباقية أن يعترف بحاجته الشديدة لمعرفة الشرك ومظاهره، وأن يعتني كل الاعتناء بالبحث عن كل ذريعة إلى هذا الداء ليتقيه أيما اتقاء فلا يسري إلى جنابه، ولا يعلق بلسانه، ولا يظهر على شيء من أركانه»[1].

ج- على المجتمع: أما عن خطورة الشرك على المستوى الاجتماعي فقد اعتبره الشيخ مبارك الميلي سبب كل الآفات الاجتماعية من: فساد الأخلاق، وتفكك الروابط الاجتماعية، وانتشار الفوضى، بل وحتى التدهور الحضاري. وقد تناول الشيخ مبارك الميلي ذلك تحت عنصر مستقل مما جاء فيه: «إن كنت باحثا في علل انحطاط الأمم فلن تجد كالشرك أدل على ظلمة القلوب وسفه الأحلام وفساد الأخلاق، ولن تجد كهذه النقائص أضر بالاتحاد وأدر للفوضى وأذل للشعوب، وإن كنت باحثا عن أسباب الرقي فلن تجد كالتوحيد أطهر للقلوب وأرشد للعقول وأقوم للأخلاق، ولن تجد كهذه الأسس أحفظ للحياة، وأضمن للسيادة، وأقوى على حمل منار المدنية الطاهرة»[2].

2- التفاعل مع المنحى الإصلاحي العام: سبق القول إن كتابة الشيخ مبارك الميلي في مجال العقيدة لم تكن كتابة الباحث المتخصص، وإنما كانت كتابة المصلح الذي يتعاطى مع مظاهر الفساد فيتتبعها بغرض إصلاحها، وكانت عقيدة المسلم الجزائري أخطر موضوع طاله التشويه والفساد؛ وذلك بتفشي المظاهر الشركية المنافية للتوحيد النقي، ولذلك كان التركيز على هذه الظاهرة؛ لأن صلاح العقيدة أساس الإصلاح كما سبق الذكر.

1- مبارك الميلي: رسالة الشرك ومظاهره، ص:18.

2- المرجع نفسه، ص:52.

وفي هذا كان الشيخ مبارك الميلي يشنع على الذين انتسبوا إلى الإسلام أو انتصبوا للعمل الإصلاحي و لم يهتموا بمثل هذه المواضيع فيقول: «إن من انتسب إلى الإسلام وافتخر بالعربية، ثم رضي بالحالة الحاضرة ودافع عنها، نرى بنوته للإسلام ولغته ليست لرشده وإنما هي لغيّه، والابن الشرعي للإسلام والعروبة همّه إعادة جدّة الدين واستعادة مجد السلف الأقدمين»[1].

3- طبيعة المخاطب: وهو الجزائري المسلم الذي هو مؤمن ومسلم، ولكن عرضت له هذه الشبهات ومنه إلى المسلم في كل مكان، فهو في حاجة إلى من يبيّن له مكمن الخطأ ويحذره من مواطن الشرك، حتى تكون عقيدته صحيحة ويكون من أهل السعادتين بإذن الله، ولذلك كان الشيخ مبارك الميلي في عرضه لهذه الظاهرة يسلك مسلك المعلّم المصلح لا مسلك القاضي الذي يصدر أحكاما.

يقول الشيخ مبارك الميلي: «ما نحن إلا وعاظ مرشدون و لم ندّع أننا حكام منفذون، ومعاملتنا للناس ترفع كل التباس؛ فتجدنا نصلي خلف من يتقدم للإمامة، ونسلّم على من لقينا وندفن في مقابر العامة من غير منع لأي مسلم منها، ونشتري اللحم عمن يشهد الشهادتين، كل ذلك من غير بحث عن كونه من المسترشدين بإرشادنا أم من الخصوم الطاعنين علينا ما لم تتبين لنا مشاقته لما جاء به الرسول الكريم ﷺ، فهذه شواهد واقعية على أننا لا نحكم على معيّن بالشرك، وغرضنا من الخوض في حديث الشرك تحذير المسلمين منه لا الحكم عليهم تعيينا»[2].

هذه بعض المبررات التي جعلت الشيخ مبارك الميلي يركز على ظاهرة الشرك دون غيرها من مباحث العقيدة ومسائلها مما يدل على أن منهجه كان بعيدا عن الممارسات التنظيرية على النحو الذي عرف عند المتكلمين، بل كان منهجا واقعيا يتعاطى مع مظاهر الانحراف التي شابت العقيدة ويعمل على إصلاحها.

1- المرجع والصفحة السابقان.

2- المرجع نفسه، ص:26.

ثالثا: التشخيص الواقعي لظاهرة الشرك

إن طبيعة العمل الإصلاحي لدى الشيخ مبارك الميلي وكذا سائر رجال جمعية العلماء المسلمين جعلتهم في عملهم الإصلاحي يركزون على البعد الواقعي لكل ظاهرة؛ لأنهم يتعاملون مع مظاهر الانحراف التي تفشت في المجتمع ويعملون على مقاومتها وتصحيحها وفق المرجعية الإسلامية، وخاصة إذا كان الانحراف في مسائل العقيدة، و قد تجلى التفاعل مع الواقع –خاصة الواقع الجزائري– الذي انتشرت فيه ظاهرة الشرك في كتابات الشيخ مبارك الميلي الذي كان نموذجا متميزا في علاجه لهذه الظاهرة؛ إذ عمل على تشخيصها واقعيا؛ وذلك من حيث مكانها وزمانها وتجلياتها المختلفة.

وهذا ما تجلى في قوله وهو يصف رسالته التي كانت في هذا الموضوع: «تحرينا فيما تخيرنا من أطراف هذا الموضوع وطرق عرضه والإبانة عنه ما رأينا حاجة شعبنا إليه أقوى وأسلوب العصر إليه أدعى»[1]. وقد كانت حاجة الشعب الجزائري –خاصة– في باب العقيدة معرفة حقيقة المظاهر الشركية، وكيفية التخلي والابتعاد عنها وهي مظاهر شملت التصور والقول والفعل جميعا.

ففي الاعتقاد تفشت معتقدات منافية للتوحيد ومخالفة لمقتضيات لا إله إلا الله، ومن هذه المعتقدات نسبة العلم بالغيب للمخلوقين، مع الاعتقاد الجازم بأنهم يتصفون بهذه الصفة على أساس أنهم من أولياء الله. وقد أشار الشيخ مبارك الميلي إلى هذا الاعتقاد الفاسد الذي تعتقده العامة في الكهنة والسحرة، وكيف أنهم يخشونهم حتى في غيابهم؛ لأنهم مطّلعون على ما لا يرضيهم، فيشدّون إليهم الرحال استعلاما عن سرقة أو استفتاء عن عاقبة[2].

ويذكر الشيخ مبارك الميلي صورا من سلوك الجزائريين التي تشخص إشراكهم المخلوقين في علم الغيب، وكيف أنهم يخشون المخلوق أكثر من خشية الله عز وجل، ومردّ ذلك

1- المرجع نفسه، ص: 14.

2- المرجع نفسه، ص:145.

الجهل والقعود عن العلم[1]. وقد تعامل الشيخ مبارك الميلي مع هذه الظاهرة مبينا بطلانها في المعتقد الإسلامي، بعد أن بيّن معنى الغيب وكيف أنه من خصائص العلم الإلهي، وحكم إضافة علم الغيب إلى المخلوق. فبيّن أن الغيب هو ما غاب عن الحواس وهو ما لا يوصل إليه إلا بالخبر دون النظر[2].

وبعد أن بيّن معنى الغيب واستدل على بطلان نسبته إلى المخلوقين، بين حكم من اعتقد في المخلوق العلم بالغيب، وفي ذلك لم يكن الشيخ مبارك الميلي مجتهدا، و لم يأت برأي من عنده، وإنما رجع إلى ما جاء به الإسلام، ووظف ما قاله علماء الإسلام السابقين وقد قالوا بكفر من نسب العلم بالغيب للمخلوقين[3].

من الظواهر الشركية الخطيرة التي تفشت في العامة ظاهرة التوسل، وقد أشار الشيخ مبارك الميلي إلى هذه الظاهرة وأخذ العامة بالتوسل بالمخلوقين خاصة من جعلوا أنفسهم المقصد في قضاء الحوائج لدى العامة، وقد بين الشيخ مبارك الميلي بطلان التوسل على هذا الوجه وكيف أنه مظهر من المظاهر الشركية مستئنسا في ذلك بآراء غيره من العلماء، وهذه المسألة وقف معها الشيخ مبارك الميلي وقفة المعلم؛ إذ بين معنى الوسيلة والفرق بينها وبين الذريعة، وما هو التوسل المشروع، وذلك بغرض تشخيص ما كان ساريا في المجتمع، وحتى يتاح للفرد المسلم معرفة ما هو عليه من مخالفات عقدية جعلته يعتقد أنه وصل إلى القربة.

فالوسيلة تعني المنزلة عند الملك والدرجة والقربة، ومن ثم فهي تختلف عن الذريعة التي تعني الطريقة الموصلة إلى الشيء، وبين أن الوسيلة تتضمن ثلاثة أشياء: القربة، والرغبة، والتوصل. وفي ضوء هذه العناصر يحدد المعنى الشرعي للوسيلة بأنها: «قربة موصلة لأمر

1- المرجع والصفحة السابقان.

2- المرجع نفسه، ص:136.

3- المرجع نفسه، ص:137-138.

مرغوب فيه»[1]. وبهذا كان الشيخ مبارك الميلي عمل على تصحيح معنى التوسل؛ لأنه من خلال تعريفه للوسيلة وإبرازه لعناصرها. بيّن حقيقة التوسل المشروع الوارد في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾[2].

ومن المظاهر الشركية في الاعتقاد أيضا ما كان يعتقده الناس في مسألة الشفاعة، وقد أشار الشيخ مبارك الميلي إلى الاعتقاد الفاسد الذي صار عليه الناس في هذه المسألة فقال: «الرزية كل الرزية والبلية كل البلية أمر غير ما ذكرنا من التوسل المجرد والتشفع بمن له شفاعة، وذلك ما صار يعتقده كثير من العوام وبعض الخواص في أهل القبور، وفي المعروفين بالصلاح من الأحياء من أنهم يقدرون على ما لا يقدر عليه إلا الله جل جلاله تارة مع الله وتارة استقلالا، ويصرفون بأسمائهم ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع ويخضعون لهم خضوعا زائدا على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء»[3].

فعالج هذا الفهم الخاطىء الذي شاب العقيدة في موضوع الشفاعة فبينها كما هي في نصوص الوحي، وكيف أنها تكون من مخلوق لمخلوق، ولكن ليس بالصورة التي هي عليها من اعتقاد التصرف بشكل خارق للعادة، أو أنها معجزة الشافع، بل الشفاعة التي تكون بين المخلوقين إنما تكون في أمور الدنيا، وهي مظهر من مظاهـــر التعاون وتكون وفق الأسباب الطبيعية الجارية في الكون، وإذا كانت هذه الشفاعـــة بغرض تحقيق فعل قبيح فإنها تكون تعـــاون على الإثم والعدوان[4]. أما الشفاعـــة التي تنفع المسلم في أخراه فهي شفاعة النبي ﷺ.

1- المرجع نفسه، ص: 202.

2- المائدة/37.

3- مبارك الميلي: رسالة الشرك ومظاهره، ص: 229.

4- المرجع نفسه، ص:218.

أما الصنف الثاني من المظاهر الشركية فهو المظاهر القولية، ومنها طبيعة الأدعية التي يدعو بها الناس وما تضمنته من شرك؛ لأنها أدعية فشا فيها دعاء غير الله عز وجل. يقول الشيخ مبارك الميلي: «فشا في المسلمين دعاء غير الله على شدة إنكار كتابهم له وتحذير نبيهم منه، حتى صار ومن قرب منهم يؤثرونه على دعاء الله وحده»[1]. وقد بين الشيخ مبارك الميلي أن دعاء غير الله شرك صريح وكفر قبيح، سواء أكان دعاء غير الله مع الله أم دعاء غير الله من دون الله[2].

من المظاهر الشركية في الأقوال أيضا التي كانت منتشرة ولا تزال حتى الآن اليمين والقسم بغير الله، وهي من الأمور التي نهى الإسلام عنها، وكذلك الحلف مع الكذب، وقد صوّر الشيخ مبارك الميلي هذه الظاهرة وكيف كان نهى الإسلام عنها فقال: «نهى الرسول ﷺ عن الحلف بالمخلوق فأبى أكثر الناس إلا الحلف به، وأغلظ في النهي حتى بلغ به نهي الشرك والكفر، فأجروا هذه اليمين على ألسنتهم أكثر من اليمين بالله، وأمر من حلف بالله أن يصدق فتلاعبوا باليمين الشرعية واحترموا اليمين الشركية، وأمر من حلف بالله أن يرضى ويكل أمر الحالف إلى الله فلم يطمئنوا إلا إلى الحلف بأوليائهم»[3].

ثم بين كيف يؤول القسم بغير الله إلى الإشراك به سبحانه وتعالى فقال: «فأما إن حلّ في القلب تعظيم المخلوق كتعظيم الخالق فجرى اللسان لذلك بتلك اليمين وخشيت النفس في الحنث ما تخشاه في الحنث بالله فهذه اليمين مظهر من مظاهر الشرك»[4].

أما الصورة الثالثة من صور الشرك في تشخيص الشيخ مبارك الميلي فهي الشرك في الأفعال والذي تمثل في عدة ممارسات كانت منتشرة في المجتمع مثل: السحر، التمائم،

1- المرجع نفسه، ص:195.

2- المرجع نفسه، ص:192.

3- المرجع نفسه، ص:277-278.

4- المرجع نفسه، ص:277.

المزارات، الذبائح...وغيرها. وهي كلها ممارسات تخالف عقيدة التوحيد؛ فمثلا السحر كان من أخطر السلوكات المنحرفة؛ لولوع الناس به خاصة فئة النساء وعامة المسلمين فهم الذين يدجل عليهم بمخاريق سحرية يوهمون بها بأن من الناس من هم أصحاب كرامات، وأصحاب تصرف في الروحانيات وقد وصف الشيخ مبارك الميلي الذين يمارسون السحر بأنهم: «يعتقدون اعتقاد الكلدان ويلبسون لباس أهل القرآن كل ذلك لينعتوا بالحكمة ويشار إليهم بتطويع ملوك الجان»[1].

هذه بعض المظاهر الشركية التي عمل الشيخ مبارك الميلي على محاربتها وذلك بتشخيصها واقعيا ثم ببيان مخالفتها للعقيدة الإسلامية.

رابعا: العودة إلى الأصول و الاقتداء بالسلف

لقد كان الشيخ مبارك الميلي في محاربته للمظاهر الشركية وفي جهوده في إصلاح العقيدة داعية إلى الالتزام بالأصول (= القرآن والسنة) والاقتداء بالسلف الصالح عليهم الرضوان، ولذلك كان دليله الذي يستند إليه دائما إما آية من القرآن الكريم، وإما حديثا من سنة النبي ﷺ. كما دعا إلى ترك أساليب المتكلمين في عرضهم لمسائل العقيدة، ومن المعلوم أن المتكلمين يستعملون المنطق اليوناني وأساليبه فكان يقول منكرا ذلك: «نكر العلماء الفحول إيثار أساليب اليونان على بيان القرآن، ولكن شيوع التقليد وذيوع الجمود أضاعا حجتهم وبرهانهم»[2].

ثم نجده في موطن آخر يلح على ضرورة الالتزام بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة؛ لأن الداعي إلى الكتاب والسنة: «هو داع لتحقيق كلمتي الشهادة، ولهذا تجد فيهما وفي كلام سلف الأمة الحث على تعلمهما واتباعهما و تحكيمهما عند النزاع، والتحذير

1- المرجع نفسه، ص:163.

2- المرجع نفسه، ص:22.

من مخالفتهما وارتكاب ما نكراه على من تقدمنا من مشركين وكتابيين، ونثبت من ذلك ما يحصل به إن شاء الله التذكير لمن يخشى»[1].

أمـــا عن الاقتداء بالسلف فكان يقول: «فنحن بالعقيدة السلفية قائلون، ولما مـــات عليه الأشعري موافقون، وعلى ضابط السبكي ناهجون وبفتوى الشيخ أبي عبد الرحمان عبد الله بن عمر مقتدون»[2].

والدعوة إلى العودة إلى القرآن والسنة في أخذ مسائل العقيدة تتماشى مع اهتمامات المسلم الجزائري أولا؛ فهو مسلم ومحب للإسلام غيور عليه ولكن وقع في انحرافات عقديـــة نتيجة الظروف التي مرت بها الجزائر خاصة الظرف الاستعماري، فكانت الدعوة إلى أخذ العقيدة من القرآن مباشرة لطبيعة الأسلـــوب القرآني في طرح مسائل العقيدة فهو أسلوب بسيط قريب من الفهم والاستيعاب، وفي هذا كان الشيخ مبارك الميلي مثل سائر رجال الجمعية؛ فابن باديس كان يقول في هذا الباب أيضا: «لن يجد العامي الأدلة لعقائده سهلة قريبة إلا في كتاب الله فهو الذي يجب على أهل العلم أن يرجعوا في تعليم عقائد المسلمين إليه»[3].

وثانيا مراعاة البعد الإصلاحي؛ فالجهود التي كان يقوم بها الشيخ مبارك الميلي كانت تهدف إلى جعل العقيدة الصحيحة أساسا للعمل الإصلاحي الذي تقوم به جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بشكل عام، ولا شك أن النص القرآني وما يتوفر عليه من ألوان الإعجاز المختلفة يمكنها التأثير في العقلية السائدة التي كانت يراد لها أن تتغير، وهذا أسلوب له جدواه في عقلية ونفسية كل من ذاق حلاوة الكلام العربي، وقرأ القرآن

1- المرجع نفسه، ص:32.

2- المرجع نفسه، ص:26.

3- عبد الحميد بن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط:1(1982)، ص:142.

الكريم. وقد كان هذا الأسلوب موظفا في عهد النبوة؛ فالكثير من خصوم القرآن الكريم شهدوا بأنه ليس بكلام بشر وأن قوة القرآن الكريم من داخل كلماته.

أما عن السنة النبوية وهي الشق الثاني للوحي فقد كانت المستند الثاني بعد القرآن الكريم عند الشيخ مبارك الميلي كما عند سائر علماء الإسلام؛ لأنها تضمنت عقائد الإسلام وشرائعه أيضا، وهو في هذا لم يشذ عن منهج جمعية العلماء، فابن باديس كان يقول: «دين الله تعالى من عقائد الإيمان وشرائع الإسلام و طرائق الإحسان إنما هو في القرآن والسنة الثابتة الصحيحة»[1]. وهكذا فعن طريق العودة إلى القرآن والسنة والاقتداء بالسلف الصالح يمكن أن يستوعب المسلم عقائد الإسلام، ويبتعد عن المظاهر الشركية، ويخلص الدين لله، ولا شك أن هذه العقائد إن فهمها وتشربتها نفسه ستبعث فيه قوة الانطلاق حتى يغيّر ما بنفسه.

ولكن رغم هذه الدعوة إلى المنهج النقلي لم نجد أن الشيخ مبارك الميلي ينكر أساليب المتكلمين بشكل كلي بل جعلها من اهتمامات الخاصة كي يوظفوها في مناقشة غير المسلمين فيقول: «ياليتنا تركنا كتب المتكلمين للخاصة يستعينون بها في مواطن الجدال مع الخصوم، ووضعنا للعامة كتبا في العقائد على أسلوب الكتاب المجيد، فيكون من تلك رياضة للعقول وحماية للحق، ومن هذه طهارة للقلوب وهداية للخير، وليس كل الناس بحاجة لتلك الرياضة، ولا لهم قدرة على تلك الحماية، ولكن كلهم في حاجة إلى تطهير البواطن ومعرفة الهدى، فعمت الحاجة إلى معرفة الشرك ومظاهره»[2].

ويفهم من هذا ما تمت الإشارة إليه أن الخطاب الإصلاحي لدى الشيخ مبارك الميلي وجمعية العلماء المسلمين عموما يراعي عادة المخاطب الذي هو المسلم –الجزائري بالدرجة

1- عبد الحميد بن باديس: الآثار، ج:3، ص:222.

2- مبارك الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، ص:23.

الأولى-، وفي هذا نجد الشيخ مبارك الميلي يشبه الإمام أبا حامد الغزالي وهو يتحدث عن علم الكلام ومدى الحاجة إليه إذ جعله للخاصة وليس للعامة[1].

ولهذا جاءت جميع المسائل والمظاهر الشركية التي عالجها الشيخ مبارك الميلي في ضوء الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح؛ فعن إضافة العلم بالغيب للمخلوق يبطله بالرجوع إلى قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[4]. ومن السنة قول النبي ﷺ: «ثلاث من تكلم فيها فقد أعظم على الله الفرية ...» إلى أن قال في بيان الثالثة: «ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية»[5]. وبيّن أن حكم من اعتقد بذلك هو الكفر والعياذ بالله، آخذا بقول علماء الإسلام في ذلك من أمثال: الشاطبي وابن حجر الهيثمي وابن الحاجب وابن العربي.

وفي حديثه عن الوسيلة وإبطاله التوسل كما كان سائدا استند إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾[6]. وفي استدلاله على بطلان الشفاعة كما كان يعتقدها العامة استدل بقوله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾[7]، ومن السنة قول النبي ﷺ: «لكل نبي دعوة يدعو بها وأريد أن أختبيء دعوتي

1- انظر الإمام أبو حامد الغزالي: كتاب الاقتصاد في الاعتقاد، دار الكتب العلمية، بيروت ط1(1983)، ص:8 وما بعدها.

2- النمل/67.

3- الجن /26.

4- الأنعام/59.

5- رواه مسلم في كتاب الإيمان باب معنى قول الله عز وجل: "ولقد رآه نزلة أخرى".

6- المائدة/36.

7- النساء/84.

شفاعة لأمتي في الآخرة»[1]. وفي ذات الموضع نجده يقول: «أيها المسلم اتبع القرآن فيما أرشدك إليه يشفع لك عند الله ولا تحد عن سنة رسول الله تشملك إن شاء الله شفاعته»[2].

وفي حديثه عن ظاهرة دعاء غير الله سبحانه استند إلى قول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[3]، ومن السنة حديث ابن عباس رضي الله عنهما فيما رواه عن النبي ﷺ: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»[4]. وفي وفي مسألة اليمين نجده يستند إلى قول النبي ﷺ: «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت»[5].

وفي إبطاله لظاهرة السحر يعتمد على إبطال النصوص لها فقد جاء في القرآن الكريم: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾[7]. ومن السنة قول النبي ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا: يا رسول الله و ما هن؟ قال:الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»[8]، كما اعتمد على آراء علماء السلف مثل الشافعي وأبي حنيفة ومالك وابن كثير وقد ذهبوا إلى أنها معصية شرك وكفر بإطلاق[9].

1- رواه البخاري في كتاب الدعوات باب لكل نبي دعوة مستجابة.

2- مبارك الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، ص: 230.

3- البقرة/185.

4- رواه الإمام الترمذي في سننه في كتاب صفة القيامة، رقم: 2517.

5- رواه البخاري في كتاب الأيمان والنذور باب لا تحلفوا بآبائكم، رقم: 6646، وطرفه في كتاب الشهادات باب كيف يستحلف، رقم: 2679.

6- يونس/81.

7- طه/68.

8- رواه البخاري في كتاب الوصايا باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً﴾، رقم: 2766.

9- مبارك الميلي: رسالة الشرك ومظاهره، ص:162.

وهكذا كان الشيخ مبارك الميلي في محاربته للمظاهر الشركية التي تفشت في المجتمع مقدما للدليل النقلي أولا، سالكا ما اصطلح عليه عند علماء العقيدة منهج المحدثين وأهل الأثر. فجاء كتابه "رسالة الشرك ومظاهره" كله على هذا المنوال، وأحدث أثرا دعويا وإصلاحيا عظيما شهد له بذلك الكثير من العلماء. يقول الشيخ أحمد حماني: «اعترف به العلماء واتخذوه مصدرا يؤخذ منه ويعول عليه في الثانويات والجامعات العلمية بتونس والجزائـــر و غيرهما»[1].

وقال الشيخ العربي التبسي في تقديمه لرسالة الشرك ومظاهره: «خدم بها الإسلام ونصر بها السنة وقوّم بها العوائد الضالة والخرافات المفسدة للعقول، وقال عنها أيضا: هي رسالة تعد في أوليات الرسائل أو الكتب المؤلفة في نصرة السنن وإماتة البدع تقر بها عين السنة والسنيين، وينشرح لها صدر المؤمنين وتكون نكبة على أولئك الغاشين للإسلام والمسلمين»[2].

خاتمة

مما سبق يمكن القول إن الشيخ مبارك الميلي أحد رجال الإصلاح الذين اهتموا بدرس العقيدة وتتبعوا مواطن الانحراف فيها وعملوا على إصلاحها، ومن خلال ما تقدم يمكن تقرير النتائج التالية:

1-إن الشيخ مبارك الميلي كان من العلماء الذين اهتموا بدراسة العقيدة في إطار إصلاحي وتربوي، وبذلك انخرط في الكتابة في علم العقيدة فيما تمت تسميته بالنمط الثالث الذي ذكر في مقدمة هذه الدراسة، وقد عالج موضوعا حساسا وخطيرا في الوقت نفسه وهو موضوع الشرك؛ لأنه يترتب عليه كفر أو إيمان، جنة أو نار.

1- الشيخ أحمد حماني: صراع بين السنة والبدعة، دار البعث قسنطينة، الجزائر، ج:2، ص:19.

2- انظر: التقديم الذي وضعه الشيخ العربي التبسي لرسالة الشرك ومظاهره، ص: 6-7.

2-إن الخطاب الإصلاحي عند الشيخ مبارك الميلي وعند جمعية العلماء بشكل عام كان قد تمحور حول العقيدة حيث اعتبر صلاح العقيدة ونقاءها أساس الإصلاح، و هذا من مقتضيات التصور الإسلامي الأصيل؛ إذ لا عبرة بعمل إصلاحي إذا لم يكن مؤسسا على المعتقد الصحيح في صورته التي جاء بها الوحي.

3-إن منهج الشيخ مبارك الميلي في إصلاح العقيدة تمثل في ثلاثة عناصر شكلت بتكاملها منهجا عالج من خلاله الانحرافات التي طالت عقيدة الإسلام وهي: التركيز على ظاهرة الشرك، التشخيص الواقعي لظاهرة الشرك، العودة إلى الأصول و الاقتداء بالسلف عليهم الرضوان. وقد كان تركيزه على هذه الظاهرة لخطورتها من الناحيتين العقدية والحضارية العامة.

4-لقد اتسم منهج الشيخ مبارك الميلي في إصلاحه للعقيدة بالواقعية وهذا ما تجلى في الموضوع الذي ركز على دراسته وهو موضوع الشرك، لانتشار هذه الظاهرة المخالفة لعقيدة التوحيد في الواقع الذي كان يعيش فيه الشيخ مبارك الميلي،كما تتجلى الواقعية في تشخيصه لهذه الظاهرة وذلك بذكر تجلياتها المختلفة من نسبة العلم بالغيب للمخلوق، والتوسل، والشفاعة، والقسم بغير الله عز و جل، وكان يذكر البيئة المكانية التي انتشرت فيها هذه الظاهرة أو تلك من مظاهر الانحراف، وهذا شأن العمل الإصلاحي فمن مقتضياته تحديد موطن الفساد أولا ثم العمل على إصلاح ما فسد ثانيا.

5-ما يلاحظ أيضا على منهج الشيخ مبارك الميلي أنه كان منهجا نقليا بعيدا عن منهج المتكلمين فهو منهج إصلاحي يقوم على بيان الخطأ وتشخيصه، ثم معالجته في ضوء الكتاب والسنة. وهو بذلك يبتعد عن العمل التنظيري والجدل الكلامي، وهذا بطبيعة الحال لأن المخاطب هو المسلم -الجزائري خاصة- فهو مسلم ولكن بفعل تفشي الأمية الدينية لم يعد يدرك النافع من الضار ولا الصواب من الخطأ.

6-إن جهد الشيخ مبارك الميلي في إصلاح العقيدة لقي ثناء الكثير من العلماء على عمله وجهده هذا، وقد وقفنا أثناء هذه الدراسة على بعض مواقف الثناء هذه. وبذلك فالتجربـــة الإصلاحية للشيخ مبارك الميلي وكتابته في مجـــال العقيدة تجربة مهمة ورسالته -رسالة الشرك ومظاهره- جديرة بأن يتخذ منها مرجعا يرجع إليه في تدريس العقيدة.

ثبت المصادر والمراجع

- البخاري، الصحيح (كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام).
- ابن باديس عبد الحميد، العقائد الإسلامية، تعليق وتحقيق محمد الحسن فضلاء، دار البعث، قسنطينة، الجزائر ط:1(1985).
- ابن باديس عبد الحميد: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط:1(1982).
- الترمذي، سنن الترمذي (كتاب صفة القيامة).
- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، ط:2(1400هـ 1980م).
- الغزالي أبو حامد، الاقتصاد في الاعتقاد، دار الكتب العلمية، بيروت ط1(1983)،.
- محمد الشيخ مبارك الميلي حياته العلمية ونضاله الوطني، ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:1(2001).
- وزارة الشؤون الدينية، الجزائر:آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، من مطبوعات دار البعث قسنطينة، الجزائر ط:1(1985).
- مسلم، صحيح مسلم (كتاب الإيمان باب معنى قول الله عز وجل:" ولقد رآه نزلة أخرى").
- حماني الشيخ أحمد، صراع بين السنة والبدعة، دار البعث قسنطينة، الجزائر.
- الميلي مبارك: رسالة الشرك ومظاهره، شركة الشهاب، الجزائر، بلا تاريخ.

مقالات

- إبراهيم أبو اليقظان: مقال بجريدة البصائر، العدد الأول، الصادر في27 /1935/12،
- الدكتور مولود سعادة: مقال بمجلة معهد أصول الدين، مجلة تصدر عن معهد الدعوة وأصول الدين بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة - الجزائر، العدد: الأول (1998).